
سلسلة دروس المنهاج النبوي 3
سلامة القلوب
الأستاذ عبد السلام ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة دروس
المنهاج النبوي

3

سلامة القلوب

الأستاذ عبد السلام ياسين

هذه السلسلة

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وإخوانه وحزبه.

الحمد لله الملك الوهاب الحكيم العليم، الفاتح أغلاق الأفئدة الهادي إلى الصراط المستقيم، القاسم أرزاق العباد فمقتر وذو سعة كريم، ونشهد أنه الله لا إله إلا هو البر الرحيم، فتق رتق أسماع أصفيائه فأصغوا إلى ذكر الله وما لغوا فيه، وروى بواطن قلوبهم باليقين المطمئن فسالت فيها أودية المحبة بقدر نبيه.

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد بن عبد الله رسوله مشكاة النور، وسراج الحضرة الربانية المصطفى المعصوم الأمين المبلغ المبرور، صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه أنبياء الله وآله وصحبه ومن والاه.[1]

(1) مقدمة المنظومة الوعظية.

أما بعد، إخواننا وأخواتنا نقدم بين أيديكم الحلقة الثالثة من سلسلة دروس المنهاج النبوي التي ألقاها مرشدنا عبد السلام ياسين حفظه الله في مطلع هذا القرن المبارك، قرن الخلافة على منهاج النبوة نفرغها من الأشرطة المسموعة الأصلية. وفي مطبوعاتنا بعض التنقيحات أحيانا، فما المسموع كالمقروء.

والأمل معقود في أن تلقى هذه المبادرة استحسانا وقبولا من جميع الإخوة والأخوات.

فالقصد أن تعم الفائدة، ورجاؤنا فيه سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا هذا خالصا متقبلا.

اللهم ارزقنا سلامة قلوبنا لتصلح لك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سلا ليلة الثلاثاء 16 جمادى الأولى 1419 هـ

المجلس الثالث من مجالس المنهاج النبوي المنعقد يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان الأبرك من سنة 1401

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[1]، ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾[2]. ﴿**ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**

---

(1) سورة آل عمران، الآية 102.
(2) سورة النساء، الآية 1.

وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[1].

نبدأ مجلسنا هذا بعرض صورة من جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نضعها بين أعيننا للتأمل والاقتداء.

روى الإمام أحمد رضي الله عنه عن علي رضي الله عنه، قال: "انطلقت أنا والنبي صلى الله عليه وسلم حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجلِسْ، وصَعِدَ على منكبي، فذهبت لأنهض به فرأى مني ضعفا، فنزل وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وسلم، قال: اصعد على منكبي، قال: فنهض بي، قال: فإنه يخيل إلي أنني لو شئت لنلت أفق السماءِ حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صُفْرٍ أو نحاس، فجلست أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقذف به، فقذفت

(1) سورة الأحزاب، الآيتان 70-71.

به فتكسر كما تتكسر القوارير، ثم نزلت. فانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نسرع حتى توارينا بالبيوت مخافة أن يلقانا أحد من الناس".

هذا الحديث الشريف يضعنا أمام نموذج جهادي نادر، نرى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل على الكعبة وهو يومئذ لا زال بين ظهراني المشركين يضطهدونه ويصدون الناس عن سبيل الله فيمنعون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تبليغ رسالة ربه. ومع ذلك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلتمس الوسائل لكي يكْسِر الأصنام. وسمعتموه جاء مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو يومئذ شاب يافع. جاءا إلى الكعبة فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجلوس فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب علي فرأى منه ضعفا، رأى أنه لايستطيع أن يحمله إلى حيث شاء أن يرتفع، ثم جلس النبي صلى الله عليه وسلم فصعد علي بن أبي طالب على المنكب الشريف فرفعه رسول الله صلى الله

عليه وسلم حتى قام على مستوى ظهر البيت. قال : فأخذ يزاول الصنم الذي كان من صُفْرٍ ونُحَاسٍ، والصفر هو النحاس الأصفر والنحاس هو الأحمر. فزاوله عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى أسقطه فكسره.

عهدنا اليوم أشبه ما يَكون بذلك العهد الذي كان فيه الإسلام مضطهدا. ما يكاد أحدنا يظهر أو يتكلم أو ينطق أو يصلي صلاة المؤمنين في المسجد حتى يُنعَت من جميع الجهات، من الجهات الرسمية، ومن الجهات العامِّيَّة أنه كذا وأنه كذا وأنه كذا.

هذه الصورة نضعها بين يدي حديثنا علَّها تجدد لنا عزمةً، علّها تجدد فينا إيمانا وإرادة لكي ننهض، فنكسر الأصنام، ونقيم دين الله.

تتجدَّدُ الذكريات ولا تتجدد الإرادة، اليوم هو اليوم الخامس عشر رمضان، بعد يومين تحل ذكرى غزوة بدر وما

أدراك ما غزوة بدر، فيها قطع الله دابر الشرك، وفيها نصر الله الإسلام. ستسمعون أحبتي في المساجد وتقرأون في المجلات والصحف وتسمعون في المذياع والتلفاز الحديث الرسمي وشبه الرسمي عن غزوة بدر، فكأنها أغنية تتكرر كل سنة تقول : ناموا فإنما يكفيكم الاعتزاز بالماضي ! تُنَوِّمُنا فننعس وننام. يجدد لنا الإسلام الرسمي وشبه الرسمي هذه الأيام الكريمة في تاريخ الإسلام وفي جهاد المسلمين، لكنها لا تجدد إرادتنا ولا تجدد عزمنا كي ننهض ونفعل مثل ما فعلوا، كي ننهض ونجاهد في سبيل الله. ونرفع لواء الإسلام.

تتجدَّدُ الذكريات ولا يتَجَدد الدين، تتجدد الذكريات ولا يتجدد الإيمان. وقد كنا تحدثنا في مجلسنا الأول عن تجديد الدين، فجئنا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح الذي رواه أبوداود والحاكم في مستدركه والبيهقي في المعرفة الذي يقول فيه الحبيب صلى الله عليه وسلم: «**إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة**

سنة من يجدد لها دينها»، ثم جئنا بالحديث الذي يعلمنا ما هو الدين، فوجدنا أن الحديث النبوي الصحيح يقول: «**الدين النصيحة، قلنا: لمن يارسول الله؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**».

وفي المجلس الثاني تحدثنا عن تجديد الإيمان، وروينا الحديث الذي جاء به الإمام أحمد رضي الله عنه الذي يقول فيه الحبيب صلى الله عليه وسلم: «**إن الإيمان لَيَخلُقُ في جوف أحدكم كما يخلقُ الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم**».

الإيمان يبلى، وهو إسلام الخاملين، والخمول فينا جميعا، فنحن قاعدون خاملون ناعسون. ما دمنا لا ننهض بأعباء الجهاد، ولا نحدث أنفسنا بالجهاد، فإيماننا بالٍ. وجئنا بحديث تجديد الإيمان في القلوب الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : «**جددوا إيمانكم**، قال أبو هريرة: كيف نجدد إيماننا ؟ **قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله**».

ونستمر في مجلسنا الثالث هذا، في تحدثنا عن تجديد الإيمان في القلب. والحديث عن القلب وعن تربية الإيمان في القلب هو نقطة البداية. وإن تجديد الإسلام، تجديد الدين، هو نصيحة العامة والخاصة، نصيحة الخاصة هي التربية، ونصيحة العامة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، ولا جهاد إلا بتربية.

إذا كان المؤمنون بالياً إيمانُهُم، إذا كان المؤمنون قاعدين خاملين نائمين، لم يجددوا إيمانهم حتى يدعوهم للنهوض بأعباء الدين ويدعوهم للخروج من قوقعة السكوت والصمت والخوف والجبن والقعود، إذا لم يَحْيَ الإيمان في قلوبهم فإنه لن يتجدد الدين.

فتجديد الإيمان في القلب مرتبط بتجديد الدين في ساحة الجهاد، فعندما نُلِّحُّ على القلب، وأسرار القلب، وأعمال القلب، وخشية الله، ومحبة الله، والإقبال على الله، والجهاد في

سبيل الله، وربط العلاقة بالله، فإننا نفعل ذلك لأنه مقدمة ضرورية في تجديد الدين، بمعنى إقامة خلافة الله في الأرض والحكم بما أنزل الله.

وعن القلب نتحدث: قال الله عز وجل مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه النصيحة العَلِيَّة والوصية الربانية: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً**﴾[1].

قرأنا هذه الآية اليوم، يا من تقرأون حزبكم من القرآن الكريم ولا تغفلون عنه، هذه الآية الكريمة من سورة الكهف، حيث يحث الله عز وجل نبيه وهو سيد الذاكرين وسيد الصابرين يأمره بالصبر، ويطلب إليه مزيدا من الصبر مع الذين

---

(1) سورة الكهف، الآية 28.

يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه. ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا.

أمره ربه عز وجل أن يصبر مع الذاكرين مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، هؤلاء الذين كرسوا حياتهم وجميع أوقاتهم، في الصباح والمساء لذكر الله ودعائه بإرادة صحيحة التوجه إلى الله: ﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾.

ونهاه أن يتعداهم وأن ينضم إلى غيرهم من الغافلين: ﴿**وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾. كذلك كل مؤمن منا مُخاطب بهذه الآية، كي يجتمع مع المؤمنين ولكي يقطع ما بينه وبين الغافلين، ولكي ينقطع عن نشدان زينة الحياة الدنيا وطلبها، ولكي يطلب وجه الله عز وجل بإرادة صحيحة الوجهة صادقة.

مؤمن أو مؤمنة اكتمل فيهما شروط "الصبر مع" والدعاء الخالص الصادق، والإرادة الصحيحة التوجه إلى المولى عز وجل يرجى لهما أن يصبحا يوما ما مجاهدين. أما ذاك الذي يكتفي بمجلسٍ علميٍ أو بدرسٍ يتلقاه، يكتفي بمسجد صلى فيه التراويح، وصلى فيه الخمس، ثم ينصرف إلى ما كان فيه من غفلة، وإلى ما كان فيه من قعود، فهذا لايرجى له أن يلحق بهذا الركب المبارك.

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾. يقول المفسرون"الفُرُطُ" من مادة فَرَطَ ومنه فَرَطَ وأَفرَطَ، معناه: المبالغة في الأمر الذي لا ينفع، والتفريط في الأمر الذي ينفع. فمن غفل عن الله عز وجل فقد ضيع دينه، وأضاع حياته، وصرف أوقاته فيما لا يبني لنفسه مصيرا حسنا عند الله، وما لا يبني للأمة مصير العز الذي وُعدَت به الأمة وَوُعِد به المؤمنون.

نتحدث اليوم عن السير القلبي إلى الله، كيف يسير القلب إلى الله؟ كيف يبدأ القلب من حالة الركود والموت، فينْشَطُ من غفلته، ويحيى من موته، فيقبل على الله عز وجل، ثم تتوقد فيه أنوار طلب الحق عز وجل وأنوار الإرادة فيبدأ سيره إلى الله عز وجل؟

بعد حين سنرجع إن شاء الله إلى ذكر أنواع القلوب، منها القلوب الغافلة، ومنها القلوب القاسية ومنها القلوب الكافرة والمنافقة، ومنها القلوب السليمة. الآن نتحدث عن السير، سير القلب، هل لهذا ذكر في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟أم هو كلام يطلقه بعضهم على عواهنه دون أن يكون له أصل من الشرع؟

نقرأ في كتاب الله عز وجل قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ**

النَّاسِ﴾[1] هذا في سورة آل عمران. ونقرأ في سورة الحديد قول الله عز وجل: **﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾**[2].

هذا الإسراع ما كنهه؟ كيف يكون؟ وبم يكون؟ هل هو إسراع بالجوارح أم إسراع بالجسم؟ هل هو تخط للمسافات بالفكر؟ هل يكفي أن يرتقي المسلم والمؤمن بأوهامه الفكرية ولحاقاته الجسدية من عالم الغفلة عن الله فيصبح من الذاكرين؟ أو ينتقل بهما من عالم الرضى بالأمر الواقع المكروه المنكر، فيصبح من المجاهدين؟ أم لابد من تزكية النفس وتربيتها وحملها على المكاره؟ أم لابد من إيقاظ الإرادة الإيمانية في القلوب فتتحرك القلوب مبتغية وجه الله فتأمر عند

---

(1) سورة آل عمران، الآيتان 133-134.
(2) سورة الحديد، الآية 20.

ذلك الجوارح والعقل بالعمل المنسق، العمل الفكري والحركي، لكي نرضي الله عز وجل؟

﴿سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، **﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾**، هل يكفي أن يكون هذا السباق سباقا فكريا؟ تعلمنا، تلقينا العلم، علمنا الحلال والحرام، علمنا المعروف والمنكر ، قرأنا كذا وكذا من الكتب، اطلعنا على ما قاله فلان وفلان من أئمة العلماء، هل هذا يكفي؟

هذا لا يكفي فإنه لن يقربك من الله عز وجل مادام علما لا يفضي إلى عملٍ. في الحديث الشريف:«**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفَع**»[1] والعلم الذي لا ينفع هو الذي يبقى فكرا، يبقى في الدماغ ويبقى في اللسان، ولا يترجم قولا وحركة. هل يمكن أن يكون صراعنا واضطرابنا بين الناس عملا مَرْضِيًّا إذا كان عملا لم يوجهه العلم؟ إذا كان عملا بغير علم ؟ نعوذ

(1) رواه أحمد و ابن حبان والحاكم عن أنس وهو صحيح.

بالله ! العمل بلا علم ضلال وإضلال.

إن بين العلم والعمل الصالح أمراً، يمكن أن يكون هنالك عالم لا يعمل، يمكن أن يكون هنالك عامل يعمل على غير هدى فيفتي الناس على غير علم فيَضِلَّ ويُضِل. الأمر الذي بين العلم والعمل هو الإرادة القلبية، ويقظة الإيمان في القلب. يمكن أن يكون العلم متوفرا في أمةٍ فيسخره العالمون الظالمون للتخريب، لتخريب الإسلام. وسنقرأ بعد حين نصاً للإمام علي رضي الله عنه في إحدى وصاياه في هذا الموضوع.

العلم بدون إيمان أداة تخريب، وناهيكم بالعلم الرسمي الذي يبرر الظلم والفساد وينشد الأغاني في مدح الظالمين. العمل بدون علم تخريب أيضا وفوضى. الله عز وجل جعل العلم مُنْطَلَقاً للعمل، فبدون أن يلتقي العلم بالعمل إما يكون التخريب من جانب التضليل بِاسْمِ العلم، وإما يكون التخريب

من جانب العمل الفوضوي الذي لا يعتمد على ما أمرَ به الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

﴿**سارعوا**﴾ و﴿**سابقوا**﴾، بم يكون هذا؟ لا يكون بالعلم وحده ولا بالعمل الذي لا يعتمد على العلم ولا بعمل منفصل عن الإرادة والإيمان، بل إنما يكون بالإرادة يحدوها العلم ويخدُمها العمل.

يقول الله عز وجل يأمرنا جميعا: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾[1]. فرار، حركة، سير. هل نفر بالعلم؟ يمكن أن نقول بلساننا ما ليس في قلوبنا فنكون منافقين، نقول: يا رب،نفر إليك ونُقبل عليك ونحبك ونرجو رحمتك ! لكننا لا نعمل من الأعمال ما يطابق هذه الأقوال.

(1) سورة الذاريات، الآيتان 50-51.

الفرار إلى الله يكون سيراً بالقلب، الإيمان قلب مقبل على الله عز وجل. الحديث النبوي الذي رواه الشيخان والإمام أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم من طريق السيدة عائشة رضي الله عنها، وهو حديث صحيح، يقول فيه الحبيب صلى الله عليه وسلم : «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**»، سير إلى الله ، لقاء مع الله ، بم يكون هذا السير؟ هنالك عُمُرٌ يطوينا إلى الموت، يسير بنا سيرا حثيثاً مسرعا إلى الموت، فنلقى الله عز وجل، لكن اللقاء المعتبر هنا هو اللقاء الذي يكون فيه الرضى وتكون فيه الجنة وتكون فيه معرفة الله عز وجل.

«**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**»، أما الموت فإن المؤمن يكرهه كما جاء في حديث البخاري، وهو حديث طويل: «**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه**» إلى أن يقول: «**وما ترددت في أمر أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته**». المؤمن يكره الموت

لكنه إذا كان يحب لقاء الله وكان يعمل ما يقربه إلى الله عز وجل فعند ذلك يكون موته سبب لقاء الله المحبوب، فيكون الموت محببا إليه لأنه يحب لقاء الله.

فكلمات الإسراع، والاستباق، والسير، واللقاء، والفرار إلى الله عز وجل، والقرب من الله، والوصول إلى الله، والتزلف إلى الله، معانٍ ترتبط بالقلب، لأن الله عز وجل يقول: ﴿**لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ**﴾[1]، وفي الحديث الشريف: «**التقوى هاهنا وأشار إلى صدره الشريف**»[2]. فالذي يعرف الله ويصل إلى الله، ويسارع إلى الله، ويتقرب إلى الله، هو ما فينا من إرادات إيمانية، ما في قلبنا من الإيمان والتقوى.

(1) سورة الحج، الآية 35.
(2) أخرجه مسلم في البر والصلة عن أبي هريرة.

وعن الإيمان إن شاء الله نتحدث في سلسلة مجالسنا، وعن شعب الإيمان، وعن كيف نربي هذه الخصال الإيمانية؟ وعن كيف نترجم هذه الخصال الإيمانية عملا جهاديا؟

العمل الجهادي يبدأ بالتربية، التربية ليست تربية خارجية فقط، ليست تربية فكرية علمية فقط، ليست تربية عملية حركية فقط، بل أساسُ كل ذلك تربية النفوس. الجهاد لنصرة الإسلام يعني الجهاد لتغيير ما بالمسلمين من فساد وما بينهم منْ تظالم، وما بينهم من كفر، وما بينهم من إلحاد ونفاق.

وإن الله عز وجل أعطانا القانون ﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[1]. جاءت هذه الآية ومثيلاتها الأُخرى في سيَاقِ عَدِّ نِعَمِ الله عز وجل على الكفار ثم تفسير ما أصابهم من نقمة الله عز وجل بأنهم أعرضوا عن الله، ونصَّت

---

(1) سورة الرعد، الآية 12.

أيضا في المعنى الآخر المُقابل، وهو المعنى الإيجابي، أن الله عز وجل لا يغير ما بقوم من فساد حتى يغيروا ما بأنفسهم من شر، كما أنه لايغير ما بقوم من خير حتى يغيروا ما بأنفسهم من خير. فإذا أعرضوا عن الله عز وجل أصابتهم النقمة، وإذا أقبلوا على الله عز وجل حلت بهم بركة إقبالهم وطاعتهم لله ورسله، واستحقوا بذلك نصر الله سبحانه وتعالى.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن عبد الله بن عمرو: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرَّم الله عليه**». حديث آخر رواه الإمام أحمد والترمذي وحسنه والنسائي والحاكم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المؤمن من أمِنَهُ الناس على دمائهم وأموالهم**». وفي حديث عند الترمذي وأحمد والطبراني: «**والمجاهد من جاهد نفسه**

في ذات الله».

جهاد النفس في ذات الله يعني حملها على الإقبال على الله عز وجل وهجرها ما طُبِعَت عليه من الغفلة. فجهاد النفس هو جهاد الهوى، وجهاد ما في بواطننا من خبائث، وتزكيتها لكي تسلم من الآفات فيُطلق عليها عند ذاك اسم القلب. وقد اختلف العلماء في مدلول اسم النفس والقلب، فقال بعضهم: إن نفس المعنى يطلق على النفس إذا كان مَعطِناً تَوَطَّنَت فيه المعاصي، والغفلة، والكفر، والظلمة. ويُطلق عليه اسم القلب إذا كان سليما من هذه الآفات.

لكننا نجد في القرآن ما يخالف هذا المعنى. وعلى كلٍّ لا مدخل لنا نحن في هذا الخلاف. يقول الله تبارك وتعالى حكاية عن نَبِيِّهِ إبراهيم عليه السلام : ﴿**وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[1]. لم يقل

(1) سورة الشعراء, الآيات 87-89.

أتى اللهَ بعلم ولا أتى الله بعمل، لكن أتى الله بقلب سليم. حركة وسير، فالقلب هنا يسير إلى الله. وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾[1].

قلب سليم ثم قلب فيه مرض ثم قلب فيه قساوة. وبالطبع لا يسير إلى الله سبحانه وتعالى إلا القلب السليم، بدليل هذه الآية : ﴿**إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾. أما القلب الذي فيه مرض والقلب الذي فيه قساوة فهو قلب لا يعرف الله عز وجل ولا يمكن أن يعرف الله عز وجل.

في صدد الحديث عن الجهاد –وقد بدأنا مجلسنا بعرض

(1) سورة الحج، الآيتان 50-51.

جهاد رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم بمكة– وعن إقامة دين الله، وعن خلافة الله في الأرض نتحدث عن القلب وآفاته في سيره إلى الله، ونعيد السؤال الذي طرحناه أول المجلس: ما علاقة سير القلب بسير جند الله في ساحة الجهاد؟ ما العلاقة بينهما ؟

علاقتهما أن مصير الأمة لن يكون في الاتجاه الصحيح إلا إذا كان كل مؤمن وكل مجاهد يسير على أمر الله عز وجل، فيسعى للقاء الله عز وجل، ويطبق أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم طاعةً وإخلاصاً.

إذا كانت القلوب المريضة هي التي تتحدث باسم الإسلام، فإن العمل لن يكون جهادًا، وإن النتائج لن تكون إسلامية، بل تكون نفاقاً على صورة القلوب المريضة التي تقود الاضطراب باسم الإسلام.

تَرون في الساحة كثيرًا من أدعياء الإسلام يقولون ما لا يفعلون، وينطقون بما لا يعتقدون، فهم أيضا يريدون أن يُقيموا

الإسلام وأن يقيموا دين الله. لكن بما أن في قلوبهم مرضا فإن تحركهم هذا لن يكون على الإسلام، ولن يكون عملا جهاديا، حتى ولو سَمَّوا جماعاتهم جماعات مسلمة أو أحزابا إسلامية أو ما إلى ذلك.

إنما يقوم بالجهاد القلوب السليمة التي تأتي الله عز وجل وليس لها من هَمٍّ إلا اللهُ سبحانه وتعالى، هذه القلوب وحدها التي يمكن أن تقوم بواجبات الجهاد ومقتضياته.

نرجع إلى كتاب الله العزيز فنجد قول الله عز وجل: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم**﴾[1]، وبم قست قلوبهم؟ وكيف قست وتقسو القلوب؟ الآية يأتي جوابها: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ**﴾، أي من الغفلة عن الله. القلوب القاسية هي التي لا تذكر الله، وكلما غفلت عن ذكر الله ازدادت قسوة. ذكر الله في الصلاة والتلاوة ومجالس الإيمان

(1) سورة الزمر، الآية 21.

وترديد قول لا إله إلا الله والإكثار منها وما جاء من صيغ الذكر كسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذه الكلمات الصالحة الطيبة كلها تحيي القلب وتُلَيِّنه وتُزيل ما فيه من قساوة. يقول شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله عن القلب الطيب بذكر الله الناجي من الأمراض:"والناجي هو القلب المُخبت إلى ربه، وهو المطمئن إليه، والخاضع له، المستسلم المنقاد". قال: "وذلك أن القلب وغيره من الأعضاء يُراد منه أن يكون صحيحا وسليما لا آفة به يتأتى منه ما هُيئَ له وخُلِق من أجله، وخروجه عن الاستقامة إما ليُبْسِه وقساوته وعدم التأتي لما يراد منه كاليد الشلاَّء واللسان الأخرس والأنف الأخشم وذَكَرِ العِنِّينِ والعين التي لا تُبصر شيئا. إما لمرض أو آفة فيه تمنعه من كمال هذه الأفعال ووقوعها على السداد".

أقول: كذلك القلب إذا كانت فيه آفات فإنه لا يقوم بوظيفته كما تعجز الأعضاء الأخرى من عين ومن لسان ومن يد ومن أنف..إلخ، بسبب الآفات التي تأتيها من شلل وخرس وخشم وغشاوة في العينين. ثم يقول: "القلب الصحيح ليس بينه وبين قبول الحق ومحبته وإيثاره سوى إدراكه، فهو صحيح الإدراك للحق تام الانقياد والقبول له. وأما القلب الميت القاسي فلا يقبله ولا ينقاد له. وأما القلب المريض فإن غلب عليه مرضه التحق بالميت القاسي، وإن غلبت عليه صحته التحق بالسليم".

لا تعجلوا علي بالسؤال، كيف يحيى هذا القلب ويتجدد فيه الإيمان؟ فعن هذا سنتذاكر إن شاء الله، وعن هذا سنتحدث في لب حديثنا في هذه السلسلة من مجالسنا التي نرجو الله عز و جل أن يباركها.

وصف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاج حيث قال : «**جددوا إيمانكم !**»،«**أكثروا من قول لا إله إلا الله**». لكن مجرد قول لا إله إلا الله والإكثار منها لا يكفي، فلا بد له أن يلتقي بشعب الإيمان الأخرى، وسنرجع إلى كل هذا بالتفصيل إن شاء الله.

في هذه الأمة آفة وكارثة عظيمة، هي هؤلاء العلماء القاعدون أو المبررون، أو الغافلون عن الله، الذين نعتهم حديث نبوي بـ:"ديدان القراء"، والذين يبررون الظلم والفساد وينهون عن المعروف ويأمرون بالمنكر ويقفون بجانب من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف.

عن كُمَيْل بن زياد، قال : "أخذ علي بن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبال فلما أصحرنا (أي وصلنا إلى الصحراء) جلس، ثم تنفس، ثم قال : يا كميل بن زياد، القلوب أوعية، فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة

عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق". أسوق هذا الكلام النفيس للإِمَّعَاتِ من أدعياء العلم الذين يَحِقُّ عليهم وصف الرعاع، الذين يميلون مع كل ريح، لا يرجعون ولا يلجأون حسب عبارة الإمام علي إلى ركن وثيق، لا يرجعون إلى الله عز وجل فيعتمدون عليه فيكتسبون باعتمادهم عليه ثقة وباستنادهم إليه قوة يجبر الله بها ضعفهم، وإرادة جهادية يعوضون بها خذلانهم لأمر الله.

لا يلجأون إلى ركن وثيق، كيف والضُّعفُ بادٍ فيهم؟ ﴿**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**﴾[1]، ﴿**يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ**﴾[2]. كل من لم يأو ولم يلجأ إلى ركن وثيق وكل من لم

(1) سورة الحشر، الآية 14.
(2) سورة المنافقون، الآية 4.

يعتمد على الله عز وجل فقلبه هواءٌ، قلبه خاوٍ يملؤه الجبن والخوف، ومن الله عز وجل يلتمس المؤمنون أسباب القوة.

قال الإمام علي :"العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة". وأقول: إن من أدعياء العلم من يفضل المال على العلم ومن يبيعون الفتوى بالمال، يعلمون أنهم بفتواهم يحاربون الله ورسوله، فهم يفضلون المال على العلم، بهذا يستحقون نعت "ديدان القراء". ولو كانوا يحبون الله عز وجل لما آثروا على الحق شيئا.

يقول الإمام علي كرم الله وجهه : "ومحبة العالم دَيْنٌ". فريضة علينا أن نحب العالم، لكن أي نوع من العلماء؟ الذين بالطبع يلجأون إلى ركن وثيق، وليس الذين لا تعي قلوبهم العلم فيذهبون مع الهمج الرعاع أتباع كل ناعق. ويقول الإمام علي يتحدث عن العالم: "محبة العالم ديْنٌ يدان بها".

"العالم يُكسبه علمه الطاعة في حياته". معنى هذا أن العالم يخشى الله ويتقي سؤال الله إياه عن علمه هل استعمله فيما يرضي الله؟ أم استعمله ليحارب الله ورسوله؟ قال: "العلم يكسبه الطاعة في حياته وجميل الأُحدوثة بعد مماته، ماتَ خُزَّانُ المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر. أعيانُهُم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة".

ويقول الإمام علي: "إن هَهُنا —وأومأ بيده إلى صدره– علما لو أصبتُ له حَمَلَةً، بلى أصَبتهُ لَقِنًا غير مأمون عليه". اللَّقِنُ: هو الذي يتلقى العلم فيحفظه، لكنه لا يؤدي الأمانة التي عليه في العلم ، لا يستعمل العلم فيما يرضي الله عز وجل. فهذا يطلق عليه اسم العالم لكنه خائن لَقِنٌ، انظر إلى الأسماء التي يُطْلِقها الأئمة المهتدون على العلماء الذين خانوا أماناتهم. يقول الإمام: "أصبته لقنًا غير مأمون عليه، يستعمل آية الدين للدنيا، يستظهر بنعم الله على عباده، وبحججه على كتابه، أو معاندًا لأهل الحق، لا بصيرة له في إحياء الحق، ينقدح الشك

في قلبه بأول عارض من شبهة". لا يريد أمثال هذا إحياء الحق بل يريدون أن يميتوا الحق ويحيوا الباطل. هؤلاء كثير، اللِّقِن الذي يحفظ العلم، المعاند لأهل الحق الذي يخرب ولا يحدث نفسه بإحياء الحق، وهذا كثير.

يُضِيف الإمام قائلا: "أو منهوما باللذات، سلس القياد للشهوات أو مُغْرًى بجمع الأموال والادخار، ليس من دعاة الدين في شيء، أقرب شيء شبَها بهم الأنعامُ السَّائِمة".

جاءنا الإمام علي كرم الله وجهه بأربعة أنواع من علماء السوء: اللَّقِن غير المأمون على العلم، ثم المعاند لأهل الحق الذي لا بصيرة له في إحيائه، ثم المنهوم باللذَّات سَلِسُ القياد للشهوات، ثم المُغْرَى بجمع الأموال والادخار. هذه آفات فينا فاشية، قلب اللقن وقلب المعاند وقلب المنهوم باللذات وقلب المغرى بجمع الأموال قلوب مريضة. فإذا أردنا أن نقوى على الجهاد، فينبغي أن نبدأ بتربية المؤمنين حتى لا يصيحوا مع

كل ناعق، ولا يخونوا أمانة العلم، ولا يعاندوا أهل الحق، ولا تغلب عليهم الشهوات فيُسْلِسُوا لها القياد، ولا تغريهم أموال الدنيا ومتاعها.

نرجع إن شاء الله يوما لهذا الحديث العلوي الكريم. ونثني هنا بحديث عن أبي موسى رواه أبو كبشة السدوسي قال: خطبنا أبو موسى الأشعري فقال: "إن الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من الجليس السوء. ومثل الجليس الصالح كمثل صاحب العطر إلا يُحْذِكَ يَعْبَقْ بك من ريحه، ألا وإن مَثَل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إلاَّ يُحرق ثيابك تعبق من ريحه. ألا وإنما سُمِّي القلب من تقَلُّبه. وإنَّ مثَلَ القلب كمثل ريشة بأرض فضاءٍ تضربها الريح ظهراً ببطنٍ". وجه الشاهد في هذا الأثر لأبي موسى الأشعري هو ضرب المثل بالريشة تلعب بها الريح.

وقد وجدنا مثل هذا عند الإمام علي عندما قال: "همج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح". قلب كمثل ريشة بأرض فضاء تضربها الريح ظهراً ببطن، وأتباع كل ناعقٍ يميلون مع كل ريح، خفةٌ، والجهاد يريد رزانةً. انتقال من رأي إلى رأي، والجهاد يريد الثبات على الحق. تبرير لكل كلمة مبتدعة تسير مع كل بدعة ومع كل ضلالة، والجهاد يريد اتباع السنة والسير على الصراط المستقيم، يريد السير على سبيل الله، سبيل الجهاد في الله.

ثم يقول الإمام أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: "ألا وإن من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب. قالوا: فما تأمرنا، قال: كونوا أحلاس البيوت"[1].

---

(1) رواه أبو داود وابن ماجة.

انتهى حديث أبي موسى بأن أوصى المؤمنين بالقعود في بيوتهم، لماذا؟

لأنه يومئذ كانت الفتنة قائمة بين أهل الحق، تَقاتل الصحابة رضوان الله عليهم، وكان الفرقان بين الحق والباطل صعبا، فآثر أبو موسى الأشعري ومعه جماعة آخرون من الصحابة رضي الله عنهم أن يبتعدوا عن الفتنة، وأن يكونوا أحلاس بيوتهم. أما اليوم فإن الفرقان سهل، فالحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ، والحق والباطل في يومنا هذا وفي زماننا هذا بَيِّنَانِ، فلا يحق ولا يجوز لمؤمن يرجو الله ويعمل على لقاء الله ويحب أن يلقى الله بقلب سليم أن يقعد عن الجهاد.

لابد أن يجاهد وأن يقوم بفرض الجهاد، وإلا فإنه يكون من القاعدين، والقاعدون هم طائفة من المنافقين الأعراب، من الذين خذلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حروبه. ومن خَذَلَ الإسلام اليوم فكأنما خذله أمس، لا فرق بين الأمس

واليوم كلما كان الفرقان سهلا. ولما كان الفرقان بين أهل الحق وأهل الباطل صعبا حينها آثر أبو موسى ومن معه من الصالحين أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم الابتعاد عن الفتنة، لأن الفرقان لم يكن هيِّنا يومئذ.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.